ديانا ووليام وعصا الجولف

مقدمة

ما من أسباب رديئة تؤدى إلى نتائج جميلة، والفعل الحسن يجنى ثمار حسنه، ومثل ما زرعت تحصد، وكان حصاد الأميرة ديانا رديئاً، مر الطعم، صعب الهضم، مريض القضايا، سواء بينها وبين القصر الملكى، وسواء بينها وبين الصحافة، سواء بينها وبين عشيقات زوجها، ثم بينها وبين الأمير تشارلز ذاته، وأوهمت نفسها أن الوليد ويليام سيخفف من وقع هذا الألم، وهذه المرارة التى لم تكن تتوقع حدوثها فى حياتها الملكية، التى أضحت قبض الريح، ومن لا يعرف قول «عسل» لكنه كان «السم» الذى تتجرعه يوما وراء يوم، وساعة خلف ساعة، فى حياة زوجية كتب عليها الفشل منذ البداية، عندما وضحت الخطوط المتقاطعة والمتعارضة بين اتجاهات زوجها واتجاهاتها المغايرة

obeikandl.com

له تماماً، مما دفع كل منهما على التباعد عن الآخر، عبر استقلالية داخلية فى كل منهما.

ديانا كانت تبحث عن ذاتها، إنها ليست تابعة بهذه الصورة التى تخضع لمنطق العبودية، وتلغى تماماً مبدأ السيادة، وبين هذه العبودية والبحث المضنى عن السيادة بدأت حياة كل منهما فى التساقط طوبة بعد طوبة، حتى هجرها تشارلز وأقام فى أحضان كاميلا، وأثار عليها الصحافة لكى تهاجمها، بعد أن كانت تكتب عنها خيراً، عبر ادعاءات مغرضة حول جبروت ديانا فى معاملة الأمير، مما جعل أصدقاؤه يبتعدون عنه، وقدم رجال القصر القدامى الذين كانوا يقومون على خدمة الأمير استقالاتهم بحجة أن الأميرة ديانا تتدخل فى شئونهم، وتعرقل سير أعمالهم، وتعاملهم معاملة جافة لا صدى للحنان فيها، وأنها تتدخل تدخلاً سافراً فى نظام وبروتوكولات القصر الملكى.

لكن هذه الهجمة الصحفية كانت هجمة مغرضة ضد ديانا لصالح الأمير تشارلز، لكى تقوض الأقلام الصحفية من صورة ديانا الجميلة عند الشعب البريطانى، خاصة وأن تشارلز قد أحس وتأكد من حب هذا الشعب لديانا، والإقبال عليها فى أى مكان تذهب إليه أو تتواجد فيه، وتقديم عديد من صور هذا الحب لها، مثل توقيع الألبومات وأخذ صور معها وإرسال الخطابات لها، والدعاء لها ولإبنها فى الكنائس خاصة فى مقاطعة ويلز، ومحاولة مصافحتها والعدو خلف سيارتها، كل هذه الظواهر وغيرها جعلت الأمير تشارلز يحس ويعيش واقعاً مراً، أنه الرجل الثانى وديانا هى الملكة، وتعد هذه الظواهر ظواهر ضدية له، لأنه كان يحب ذاته أكثر من أى شئ آخر، ولا سيما أن هذه الذات تضخمت عن حجمها وأرادت أن تضفى على كل ذاتية الآخر، سواء كان هذا الآخر هو ديانا أو أختها أو أمها أو أصدقائها وصديقاتها، وقد دفع هذا الفعل السلوكى نحو تضخم الذاتية فى تشارلز إلى دفع الصحافة إلى الليل منها واختراع كثير من الأكاذيب حول سقطاتها القليلة وسقطاته الكثيرة التى لا تستطيع أن تحصيها.

* * *

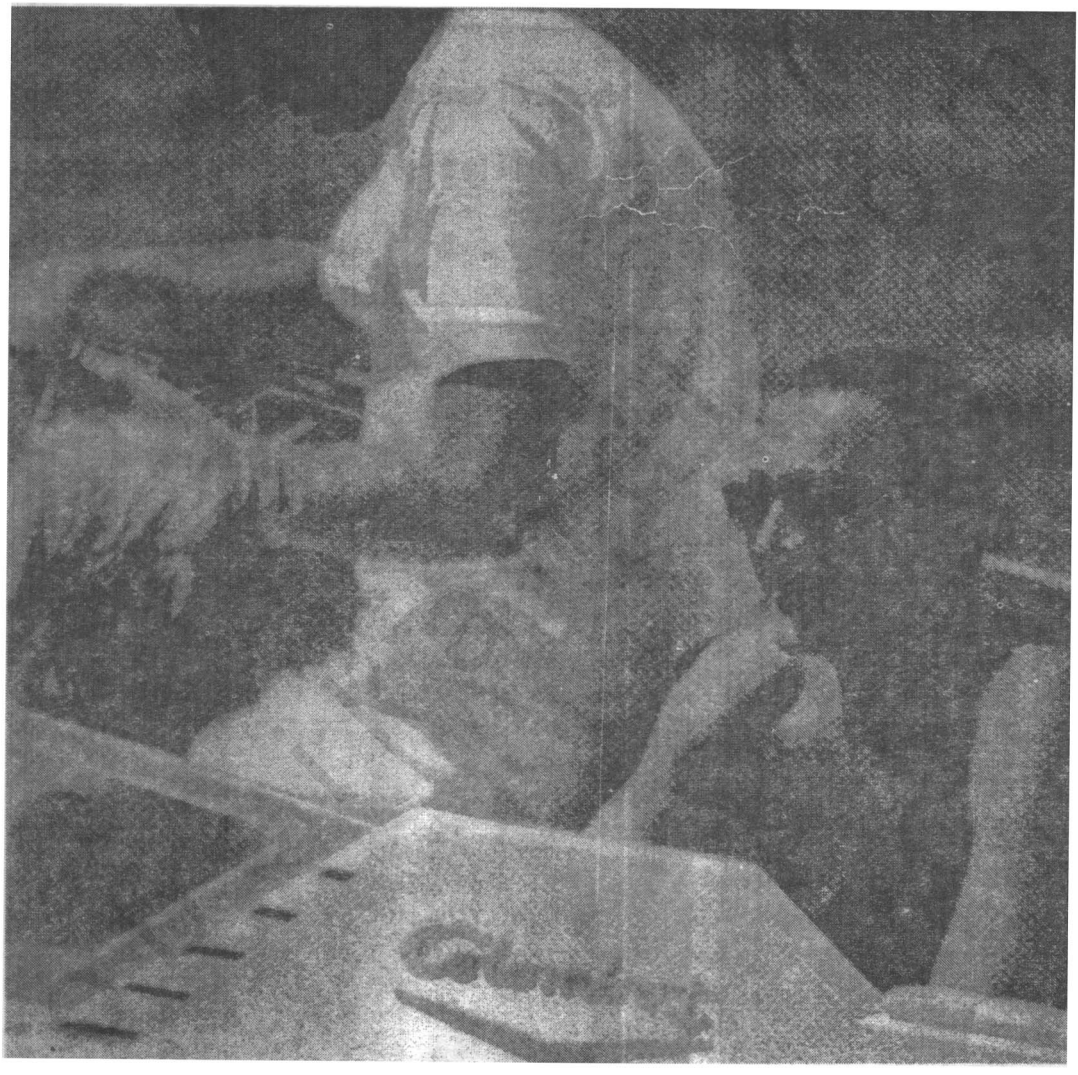

إن هذه المقدمة تستطيع أن ترسم أمامنا الطريق إلى الوصول إلى بدايات المنحدر إلى الهاوية بين كل من الزوجين الملكيين، خاصة عبر الحادث الذى وقع للأمير ويليام الإبن البكر للأمير تشارلز، عندما كان ويليام يلعب لعبة الجولف فى مدرسته الداخلية، ودون قصد من زميله الذى يلعب معه أن عصا الجولف الطويلة هوت فوق رأس ويليام مما جعله يقع على الأرض، وعلى الفور اتصلت المدرسة بالقصر الملكى، الذى أبلغ أمه ديانا عن هذا الحادث، الذى وقع وقع الصاعقة عليها.

كانت ديانا فى هذا الوقت وحدها دون تشارلز، تتناول طعام الغذاء مع إحدى الصديقات، ودون أن تدرى تركت الطعام الذى فى يدها، واخترقت كل ساحة القصر الملكى منطلقة إلى المستشفى، الذى أمر بنقل الصغير ويليام إلى مستشفى الأطفال بالعاصمة، حين قرر الأطباء أن هناك كسرا فى جمجمة الرأس ولابد من إجراء عملية له فورية، كانت ديانا قد أصرت أن تصحب إبنها فى سيارة الإسعاف، ملازمة له حتى نقل إلى مستشفى الأطفال، محاولة بث الطمأنينة له أثناء الطريق، داعية الله أن يشفى وأن ينجى إبنها من خطر الموت، لأن الضربة كانت قوية على رأس الصغير الهش، طاردة من فكرها علامات السوء، حين اقتصرت كل هذه الدنيا على ديانا وإبنها، ولم تملك فى هذه اللحظة إلا التدرع إلى السيدة العذراء وابنها المسيح بنجاة إبنها.

وعلى عكس كان الأب تشارلز، الذى غادر المستشفى، دون أن يبقى بجوار إبنه، لأنه كان على ميعاد لحضور حفلة من حفلات الأوبرا، بينما ويليام طريح حجرة العمليات حين كانت تجرى له هذه العملية الخطيرة التى قد تؤدى إلى وفاته، بينما أمه ديانا لم تستطع أن تتركه لحظة واحدة، حائرة قلقة واجفة القلب على حياة وليدها، بين دموع شلال من الحزن وأدعية لا تسعها نجوم السماء، حتى اطمأن قلبها بنجاة ويليام. فى هذه اللحظات الحرجة تظهر معادن الإنسان، ويتقرر مصير مواقف كثيرة أمام مثل هذه الظروف، وتتجلى المواقف التى لا تعرف امتزاج الألوان، حيث تعرف معنى اللون الواحد، إلا الأبيض أو الأسود.

وعندما كانت ديانا بجانب ويليام فى مصابه، قد نسأل وأين هو تشارلز؟! هلى بقى

مثل ديانا بجانب ويليام ؟! قد نضحك وقد نتأسف عندما نعلم، حسب ما أوردته بعض الصحف البريطانية، أن تشارلز ترك مدينة لندن كلها، واستقل طائرته وذهب بها إلى شمال انجلترا فى مقاطعة يورك شاير، هل يا ترى ليحضر أحد اجتماعات لجنة البيئة ؟! أم ليقابل إحدى عشيقاته مثل المرأة الجامحة كاميلا ؟!! مما دفع بعض الصحف الإنجليزية إلى مهاجمة تشارلز الذى لم يرع أقل ما يجب أن يقوم به فى مثل هذه الظروف التى كان إبده بين الحياة والموت، بل كان الموت أقرب إلى ويليام من الحياة.

إن الجرم العاطفى وارد فى سجلات بعض الآباء، لكن الأمر لا يصل إلى هذا الحد من الجدب الشعورى عبر معنى الأبوة، التى لا تقل أبداً عن معنى الأمومة عندما يصل الأمر إلى ما يصيب الأبناء، ومن هم الأبناء فى مثل ما حدث، إنه أمير، إبن أمير، إبن أميرة، جاء من هذه السلسلة الطويلة من الحياة الملكية البريطانية، عبر أسرة واسعة الثراء، لكنها لم تورث الثراء الوجدانى المرتبط تمام الإرتباط بالمعنى الفيضى للأبوة مثل المعنى غير المتناهى لمعنى الأمومة، والتى ظهرت واضحة فى ديانا، التى لم تأت أصلاً من أصول ملكية مثل زوجها تشارلز إبن الملكة اليزابيث، ولم تترك وسائل الإعلام خاصة الصحافة هذه الظاهرة، ورصدتها فى حينها، مما زاد من تعاطف الجماهير الإنجليزية مع ديانا، ومما زاد من مشاعر النفور والتباعد للأمير تشارلز نحو زوجته، حين أصيبت ،ذاتية، تشارلز وأصابته فى مقتل حيال عالم المشاعر والأحاسيس الإنسانية، التى كانت مجدبة إلا من مشاعره نحو عالم الرزيلة الذى تمثل فى زوجات من يشتغلون مساعدين له، حيث أحال هؤلاء الزوجات مومسات له بغيرأجر، ولغيره بأجر.

وقد دفع هذا السلوك الأبوى الجاف من الأب تشارلز فيليب إلى أن تقول ديانا عنه وعن حياتها معه (إن زواجنا إنتهى وجدانيا منذ ميلاد الأمير ويليام منذ عام ١٩٨٤، وأن كل منا ينام وينزل الآن فى غرفة نوم مستقلة عن الآخر منذ أكثر من سنين) وكذلك قالت ديانا أيضاً فى زوجها تشارلز عبر حفلة موسيقية أقيمت فى قصر باكنجهام، بمناسبة بلوغ الملكة اليزابيث سن تسعين عاماً، حول ظاهرة التباعد والتنافر

بين ديانا وتشارلز (أنا لا أتعجب ولا أندهش من هذا التصرف من زوجى، إنه سلوك طبيعى، إن تشارلز يتجاهلنى فى كل مكان، إنه يفعل هذا منذ مدة سنين طويلة، إنه ينفر منى ولا يرغب أن أشاركه حياته، إنه يفعل ما يريده ضد كرامتى وكأننى بلا شأن أو مكانة) وتقول فى مناسبة أخرى (هو يريد أن يهدمنى من داخلى، أنه يريد أن يهمشنى فى أى مجال أزاوله، كأنه يريد أن يقول أننى لست كفئاً له ثقافيا، كأنه يريد ويصمم على أن يشعرنى بالدونية، وأننى بلا قيمة دونه، كأنه هو الذى يهبنى القيمة).

وبهذا صعد الأمير تشارلز من حدة المواجهة غير المتساوية الإمكانيات بينه وبين ديانا، التى بدأت تحاول جاهدة فى العثور على صيغ المواجهة وكيفة المواجهة، والسبل الكفيلة للإنتصار أو الهزيمة، والكل يتفرج والبعض يتحزب، والبعض يراهن على خيول السباق، بين رجل وبين إمرأة، رجل فى سبيله أن يحمل تاج بريطانيا، وإمرأة تريد أن تثبت للعالم أجمع أنها تحمل أيضاً تاج التحدى لأمير أوقف زوجته عارية، بدلاً من أن يحاول أن يستر هذا العرى حتى بقطعة قماش، لأن من فروسية فارس العصور الوسطى أن يحمى الضعيف ويدافع عن الحق، ويقاتل اللصوص، ويزود عن الشرف وكل الفضائل، أما فارس قصر كابنجهام جاء فى زمن ليس العصور الوسطى، زمن فيه الداعرات متوجات على عروش ليست لها، وعلى تاريخ مرصع بلطع الخيانات الزوجية والدفاع عن سقوط القيم فى زمن بعد فيه وندرت فيه كلمات الأمانة والشرف. ومن هذه اللحظة بدأت ديانا تتحول إلى الإتجاه والعكس، تفكر جدياً رغبتها فى رد الصاع صاعين، تفكر فى الإنتقام.

* * *

MANOR
HOUSE

ديانـــا بنت الشعب
تشـــارلز إبن الملكة

الشعب البريطانى شعب طبقى، لعب الثراء وما يزال دوراً فى التشكيل الهيكلى الإجتماعى حتى الان لهذا الشعب، عبر أسباب تاريخية وإقتصادية وثقافية وتوافدات إستعمارية عجلت بهذا التشكيل قبل وبعد العصور الوسطى فى مجموعة الجزر البريطانية، ويأتى على رأس وفوق قمة هذا التشكيل العائلة البريطانية المالكة، التى يدين لها الشعب البريطانى بالولاء والتكريم حتى الآن، وفقاً لطقوس تابعة ونابعة من تاريخ طويل وعريض يضرب بجذوره فى التراثيات.

وما حدث ما بين الأمير تشارلز والأميرة ديانا كانت تداعيات الصراع فيه نابعة أساساً من هذا التشكيل، رغم إن الفارق التراثى بين الأثنين ليس بكبير، لكن الفارق التاريخى والعائلى هو المرساة التى خاضها كل منهما، عبر آليات هذا الفارق، مفردات هذا الصراع، وتدخل هذا الفارق فى عملية إختيار الأزواج والزوجات حول قداسة الدم الملكى الذى يجب أن لا تشوبه شائبة، مراعاة لعدم إختلاطه بأدنى دماء أخرى رتبة، وكأن الله خلق أنواعاً ملونة من دماء الإنسان، حيث يأتى أرقاها وهو الدم الأزرق

obeikandl.com

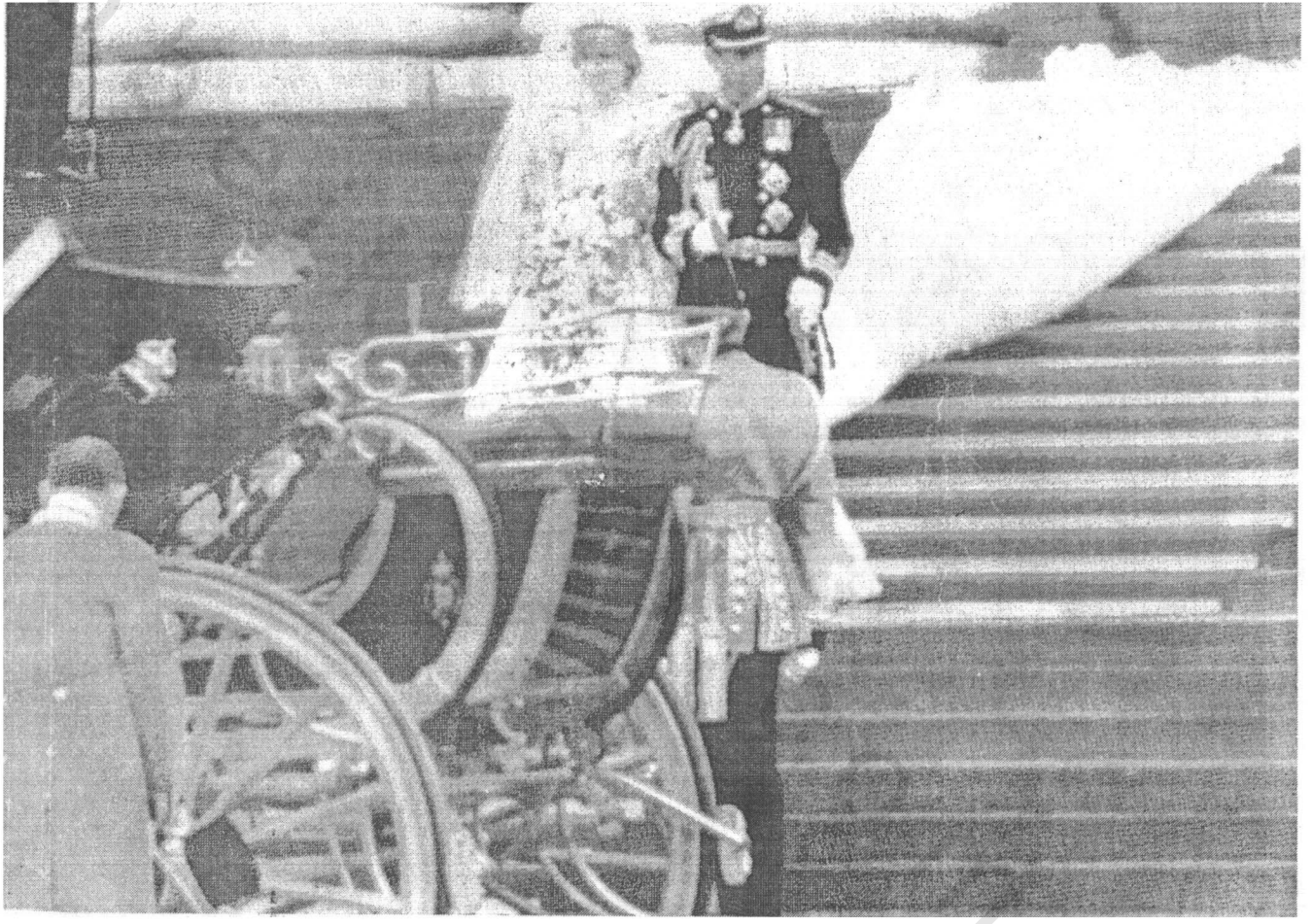

الخاص بالعائلة الملكية البريطانية، التى حاولت جاهدة أن تقيم السياج حول هذا الفارق، ونجحت فى فترات كثيرة فى حياة هذا التاج أن توفق فى اختياراتها فى تزويج أولادهم من بناتهم، إلا فى حالات محدودة عندما اضطرت هذه الأسرة أن تختار ديانا زوجة لإبنها تشارلز وهى نظرية عنصرية أدت بهذه العائلة إلى كثير من خطوات التخلف الإنسانى الوجدانى عبر حياة الآخرين.

هذا بجانب الطقوس المتحفية التى ما تزال هذه الأسرة تصر عليها، مثل معاملة الملكة، كيفية استقبالها، وما هى الكلمات التى توجه إليها، وأية المناسبات تحظى بموافقتها، وكيفية الإنحناءات لها فى استقبالها، وكيفية رفع أصابع يدها وتقبيلها، وما هى الخطوات اللازمة السابق تطبيقها قبل الحضورفى قصرها، وأى نوع وأى رتبة مدنية كانت أو عسكرية تقوم بالوفود إليها، وما هى الموضوعات التى لا يجب مناقشتها فى حضرتها، نوع من أنواع لعبة العرائس الخشبية، التى لا تنطق ولا تسمع ولا تتكلم إلا طبقاً لقواعد اللعبة التى نسجها القدامى من الحكام الإنجليز ورسموها لأنفسهم وصدقوها كأنها حقيقة، ناهيك عن هذا السرب الطويل من الموظفين الذين يقومون بتطبيق قواعد هذه اللعبة، وسط رهط من الحرس الضارب بدوائره حول قصورهم الملكية، وسط اختيارات شخصية فجة قائمة أيضاً على الإطار الطبقى، وعبر تساؤلات كثيرة حول ما الذى يجب أن ترتديه الملكة، وفى أية مناسبات ترتديه، كيف تذهب الملكة إلى المراحيض، وهل تتبول مثلنا نحن أبناء الشوارع، كيف تجلس لتشاهد التليفزيون، فى أى القاعات الملكية تجلس لتشاهد أحد الأفلام السينمائية، هى لا تذهب إلى السينما، السينما هى التى تذهب إليها، كيف تعامل الخدم والحرس وموظفى القصر؟ كيف تمشى وتضحك وتتأدب لتذهب إلى حجرة النوم؟ حتى يأتينا السؤال الذى يضحك كيف تتعامل مع الزوج أثناء الإتصال الجنسى؟! هل له هو أيضاً قواعد وقوانين وتحركات خاصة حيال لقاء المتعة الجنسية، وقد يأتى السؤال الذى يضحك أكثر، ماذا يقول لها زوجها فى لحظات هذه المتعة؟ بل ماذا يجب أن تقول له الملكة؟ أيه اليست ملكة!؟

قياسا على هذا يأتى زوج الملكة، إذا لم يكن قد وافته المنية بعد، بنفس الأسئلة ونفس الإجابات، وقياسات تأتى أخت الملكة وشقيق الملكة، وأم الملكة، وعمة الملكة وعم

الملكة، وخالة الملكة، وخال الملكة، وأبناء الملكة وبنات الملكة، إلى آخر هذا الطابور المضحك من التداعيات والمفارقات وسط أسئلة وافدة جديدة مثل هل تستطيع الملكة أن تذهب إلى شارع ستراند وتسير حتى ميدان ترا فالجار، أو تذهب إلى ميدان «لدجات» حتى شارع فيليت متسكعة أمام الحوانيت ما بين شارع تشارنج كروس حتى دائرة ميدان ليسيستر؟ وشارع شارع شافتسبرى حتى تصل إلى ميدان سانت جيلز؟! وتجلس وحدها فى كوفنت جاردن؟! وتشاهد وحدها أيضاً عرضا فى الأوبرا الملكية؟! هل تستطيع أن تركب الأتوبيس الأحمر ذا الطابقين، لتشاهد من خلاله أهم معالم عاصمتها لندن، وتأخذ الأتوبيس الأخضر ذا الطابق الواحد لتشاهد من خلاله الريف الجميل الإنجليزى؟ بالطبع لا، لماذا ؟!! لأنها الملكة، أو لأنه الأمير زوج الملكة، أو لأنه الخال أو العم، أو الأبن، مثل إبنها تشارلز ولى عهد إنجلترا، هل يستطيع تشارلز أن يقف فى الطابور فى أى محطة أتوبيس ليأخذ دوره فى الصعود؟ هل يستطيع المحصل أن يجامله ولا يأخذ منه ثمن التذكرة ؟ حتى يمشى حرا فى بيكاديلى سيركاس حتى «القوس المرمرى»، حتى محطة «فيكتوريا» هذه المحطة التى تحمل إسم جدته فى طابور نساء القصر الملكى، هل يستطيع أن يركب «هوندا» ويخترق بها شوارع المدن؟!

وعلى العكس يستطيع أمير ويلز دون رفقة زوجته ديانا أن ينزل فى فندق دورشيستر المواجه لهايدبارك، حتى تقابله كاميلا أو غيرها من العشيقات، أو ينزل فى فندق سافوى الذى يطل على نهر «التميز» الذى ساهم فى إنشائه دويلى كارت، والذى كان مدرسة فنية فى عصر فيكتوريا، أو يقيم دون الأميرة ديانا فى فندق «الريتز» أو فندق «كلاريدج» الوثيق الصلة الإنشائية والمعمارية بالعصر الفيكتورى.

لكن أمير ويلز تشارلز لا يسمح لذاته الملكية أن ينزل فى فندق من فنادق الدرجة الأولى أو الثانية فى قلب العاصمة لندن، أليس هو إبن ملكة إنجلترا، سليل التمايز عن بقية خلق الله الذين يسكنون الحجرات الرطبة فى قلب العاصمة، هل يستطيع دون حراسة ودون ترتيبات أمنية أن يذهب إلى شارع الصحافة شارع فيلييت دون لقبه الملكى ويتردد على حانة من حاناته الكثيرة ويشرب أى نوع من أنواع البيرة الرخيصة،

أو يطلب «شربة اليوم» الرخيصة الثمن أو سمك موسى المشوى أو «فطيرة الخوخ» فى حانة «كوكنى بريد» أو أن يدخل أبواب «السوهو» خاصة «يورك ميديستر» ويزاحم أكتاف زبائنه من الفرنسيين، وإذا لم يعجبه هذا الزحام، هل يستطيع أن يدخل «كيهزيا» ويدخل فى قافية لغوية مع بعض الفنانين والأدباء هناك، ويدخل فى معركة شابة مع أصحاب البنطلونات الجينز والجاكتات الملونة، أو يشترى سندوتشات بأقل من جنيه مصرى من حانة «ذى آلوجول أندبوش»، وإذا أصابه الملل من كل هذا هل يستطيع أن يسترد عافيته ويذهب إلى «جولدن ليون» ليشترى مع ما بقى معه من نقود بعض الآثار المتحفية القديمة التى سرقت أو بيعت أو هربت من القصور الملكية، ويريد أن يعيدها إلى أماكنها الصماء فى ردهات هذه القصور؟! هل يستطيع الأمير تشارلز أن يفعل كل هذا؟ أو أن يفعل جزء أ صغيراً منه؟! أشك، وشكى أكيد، لكن الذى لا شك فيه أن ديانا تستطيع أن تفعل ما لم يستطع تشارلز أن يفعله. والسؤال التالى : لماذا؟!

* * *

رغم أن ديانا سبنسر تعلم تماما أنها تنتمى إلى أكبر عائلة ثرية أرستقراطية، تتداخل بشكل رسمى وغير رسمى مع العائلة المالكة البريطانية، عبر صلات اجتماعية ودبلوماسية قديمة، مما يشكل صلة مباشرة مع أعلى طبقة اجتماعية فى المجتمع البريطانى، منذ حكم «شارل الأول» أشهر ملوك الإنجليز القدامى، حين استطاع جدها أن يقيم صرح تاريخ عائلته بدوافع اقتصادية تجارية الإتجاه، حين تاجر بأصواف الأغنام، وحصد مركزاً طبقياً رفيعاً فى هذا الجانب، حتى استطاع أن يحصل على أعلى وسام طبقى فى إنجلترا، واستطاع من خلال هذا المركز المالى المرموق أن يشيد الفيلات والقصور فى أنحاء هامة فى العاصمة لندن وفى مدن أخرى قومية من الريف الإنجليزى، خاصة قصر «الثروب» فى مقاطعة نورث هامبشير، واستطاع هذا الجد أن يقيم صلات قوية مع كثير من أهم رجال المال والإقتصاد وأهم رجال القصور الملكية وبعض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية.

رغم كل هذا فإن ديانا سبنسر جاءت على النقيض تماماً من كل هذا، لأنها عانت كثيراً فى طفولتها ما لم يعانيه غيرها من أطفال هذه الطبقة، حيث حالت حالة استقرار

الأسرة، وما حدث بين والدها وأمها من تباعد وطلاق، أن تنفرد الأميرة ديانا كثيرا بنفسها، وكانت ذات طبيعة خاصة، ميالة أن تكون منطلقة مرحة مبتسمة، عبر بحثها عن السعادة والدفء الجمعى مع غيرها من الشباب والبنات، وهى من هذا النوع الذى يستطيع أن يتجول فى كل شبر فى مدينة لندن، قد تشاهدها تلعب البلى مع غيرها، قد تدخل فى حوار طويل عبر الحدائق والميادين، تدخل محل حقائب ومنه إلى محل أحذية، إلى محل بائع الزهور وتشترى منه زهرة تهديها سعيدة لرجل المرور، تشترى فستاناً، تدخل خلف ستائره لتخلعه وتشترى غيره، لها ذوقها الخاص فى اختيار ملابسها وأحذيتها وطريقة تسريحة شعرها بيدها، وفجأة تحس بالحزن والرغبة فى البكاء والرغبة الصادقة فى رواية حزنها لغيرها حتى ولو كان لا يعرفها، قد تدخل حديقة وتبكى، قد تشاهد فيلماً سينمائياً وتبكى، قد تشاهد مسرحية وتعود إلى البيت وتقلد حزن البطلة على فراق حبيبها، وقد تضحك مقهقهة طرباً عندما يعود هذا الحبيب ويمسك يدها، تأخذها كلمات الأغانى بعيداً ما فوق السماء، تهتز وجدا أمام موسيقى الروك والجاز وأغلب الألحان الجماعية المنتشرة فى حانات لندن.

كانت ديانا تبحث عن أمانها وطمأنينتها بين الناس، بين الأشجار، بين زهور بيتها فى «بارك هاوس»، لا تميل إلى «بالمورال» وإلى شكل ضخامته وسكوت ردهاته وغرابة إسلوب معماره، تميل إلى البساطة والتلقائية واللهو البرئ عن استخدام «الأتيكيت» فى معاملتها مع الغير، وهذا الغير لا يهمها فيه أن يكون مثل نسيج عائلتها، فكم فتنت بالجرى خلف صبى يلعب خارج جدران وحدائق بالمورال، وكم وافقت أن يجرى مصوراً الصحافة خلفها فى كل مكان تذهب إليه، عندما بدأ مشوارها المأساوى مع تشارلز إبن الملكة إليزابيث، وهى التى استطاعت أن تجرى لتحلق بالأتوبيس ذا الطابقين، والأتوبيس الأخضر الذاهب إلى الريف الإنجليزى، وهى التى استطاعت وتستطيع أن تدخل أقل الحانات مرتبة فى قلب لندن، وهى التى إستطاعت أن تمد يدها لتصافح الفقراء والمرضى والمحتاجين فى أنحاء كثيرة من العالم، حتى دان لها هذا العالم حباً وعشقاً، فكانت هى بنت الشعب البريطانى، وكان هو إبن الملكة اليزابيث، ومن المستحيل أن يلتقيا.

ديانا
أميرة الإنتقام
وجيمس هوايت

إمرأة بلا رجل هى إمرأة تبحث عن رجل، أنثى بلا ذكر هى أنثى تسعى إلى ذكر، ومن باب القياس بدأ يضع اسمها وجسدها فى حسبانه، إنه قريب منها، وبالقدر يجب أن تكون هى قريبة منه، وهى فى ذات الوقت بعيدة عنه، وبالقدر يجب أن يكون هو قريبا منها، ومنذ أن بدأ يفكر فيها فكر فى ظروفها، ومناسبات الإقتراب أو الإبتعاد عنها، منذ أن شاهدها فى موكب عرسها، منذ التاسع والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٨١، منذ أن خرجت من منزل والديها وقصر المورال، حتى وصل موكبها إلى مدخل كاتدرائية سانت بول فى قلب لندن، وخرجت وذراعها فى ذراع تشارلز، وهو يتابعها بالحواس

الخمس، منتظر الظروف الأكثر أمنا الأكثف ظلالا، يجيد ترويض الخيول، يمتلك زاد الفارس، يعتنى بصحة جسده مثل اعتنائه بصحة عقله، فطر على الحكمة مثلها مثل الجنون، اعتاد الانتظار الطويل فى مواعيده مع النساء، يجيد الحديث مثل إجادته للإنصات، ومثل هذه الإجادة تتجلى براعته فى الاستهلال والقاء الدعابة والحرص المدروس فى المشاركة سواء بالحزن أو بالدموع أو الإبتسامة والقهقهات، ودرب ذاته على استيفاء كل شروط الصيد فى الوقت المناسب والمكان المناسب للإنسان المناسب، إنه أحد ضباط سلاح الشرف فى سلاح الفرسان البريطانى، الذى يعمل فى قصور اليزابيث ملكة بريطانيا، والذى استطاع عبر كل هذه المواهب أن يأخذ درجات الترقى فى خطوات واسعة، لأنه يجيد الوثب، سواء فوق ظهور الخيل أو فوق صدور النساء، أنه الميجور جيمس هوايت، الذى إنتظر ديانا طويلاً منذ عام ١٩٨١ حتى بدايات عام ١٩٩٤، حين استطاع جيمس أن يترك الخيول لغيره، ويستقل بترويض ديانا فى الاسطبلات.

البحث عن دوبلير

كانت الأميرة ديانا فى حاجة ماسة إلى رجل، لكن ليس أى رجل، فقد يكون هذا الرجل مثل زوجها تشارلز الذى عجز أن يحترمها ويحترم مشاعرها كأم وأنثى؛ وفضل جسد إمرأة أخرى عن جسدها، وناصبها العداء بدلاً من أن يوفر لها الحماية، وجند ضدها أغلب الذين يعملون فى القصر فى إطلاق الإشاعات المغرضة ضدها، وباعد بينها وبين أولادها، وتركها عرضة لرجل مثل جيمس هوايت، الذى نجح فى ترويض الأنثى فيها، يوم أن التقت عيناها بعينيه فى أحد حفلات الغذاء التى أقامتها ديانا، لتسد هذا الفراغ الصامت والموحش فى جنبات قصر كنجستون.

قامت ديانا بدعوة جيمس هوايت مع آخرين من ضباط حرس القصر، وفى داخلها مشاعر متناقضة ومتعارضة من الزهد والرغبة، من القبول والرفض، وصور عديدة لكاميلا تتوافد فى ذاكرتها فى هذه اللحظة وهى عارية فى أحضان زوجها تشارلز، فقد كانت رغبة ديانا فى جيمس هوايت رغبتين، رغبة واضحة فى الإنتقام الزاعق بالجسد

من تشارلز، ورغبة طبيعية فى أنثى تريد حقها فى المتعة، وتحقيق إرادتها فى الثورة ضد الخضوع لعالم فقد خاصية الأمانة والنزاهة، كانت ديانا فى هذه اللحظات على استعداد تام لأن تدام لأى رجل مثل ما تفعله القطة عندما تدام تحت عربة خضروات فى سوق فى انتظار أى قط، أى ذكر، فما بال والحفلة بها هذا المفتون الجرئ، الذى له سجل حافل فى دنيا أناث القطط، التى تكاثرت ذيولها المرفوعة أمام الذكور، خاصة هذا الذكر جيمس هوايت، الذى لامست يدها يده، فسرت المشاعر مثل الفيض فى كل شرايين الجسد، وابتسمت إبتسامة تشرق بالقبول.

حين أجادت البداية، مجرد إصبع فوق إصبع، ورسالة داخل رسالة، تمتلك ناصية التعبير عن مشاعرها الدفينة فيه، وحين ربت بكف يده على ذراعها حتى وصل إلى كتفيها لم تستطع أن تشعره أنها أم ولى عهد كل بريطانيا بعد تشارلز، كانت فى هذه اللحظة قطة تمتلك ناصية المواء الجنسى فوق مائدة الرغبة، مثل رغبة أية أنثى، بل على العكس لقد تجردت تماما من علاقات تاريخ الملكة وولى العهد وبروتوكولات التبعية والسجن والإذلال والعبودية لأساليب هى منذ البداية كانت لا تؤمن بها، ولا تحس بقيمتها لأنها هى وسوار الأمير سيان.

ديانا الآن تملك ناصية أسلوب التعامل معها كأنثى تريد أن تدام فى صدر جيمس وسيقان هوايت، وحين قادته إلى حجرة نومها، كان جيمس قد رسم جيداً أسلوبه فى التعامل معها، ولم تكن مفردات ولغة هذا التعامل إلا الجسد بكل ما يحويه من أقاويل وأسرار، وعندما أقترب منها وضعت صدرها فى منتصف صدره، وذراعيها الرشيقتين الرفيعتين الطويلتين حول رقبته وهى تعطيه ما كان يريده منها، وما كان راغباً فيه، يومها لم تخجل ديانا وهى تخلع له ملابسها، كل ملابسها، وعندما التقت عيناها بالمرآة فى ظل الأباجورة القريبة من السرير ضحكت مثل الطفلة، ضحكت لجسدها الذى كانت تدعته أنه مثل أجساد الصبيان، والذى لم يفتن به تشارلز ويرغب فيه، ه الآن تحتفل بهذا الجسد، الذى أخذ منها، ووضع فى مراحيض القصر أو وضع فى دولاب منسى فى مخزن العاديات، هى الآن تخرجه من المراحيض وتخلصه من النسيان، تربت عليه فى

حنان، تضعه فى مكانه اللائق به فوق سريرها فى حضور الفارس الذى يمتطيها الآن، ويدور بها فوق كل نواصى المتعة، ومن هنا كانت تضحك ديانا سعيدة، تضحك حتى كادت أن تبكى، تعبيراً عن سعادتها فى استراد ما أخذ منها، بل ما سرق منها، فى لحظات الغفوة التى صاغتها قوانين وسلوكيات قصور تشارلز عذابات متوالية من الإهمال.

تأكدت ديانا منذ هذا اليوم أنها قوية، تقف بعريها كله أمام كل ساعات زمنها المفقود، إن عريها وهى تحت جيمس هوايت قوة، لأنها استطاعت أن تقدر صيغة الأنتقام وصياغات التبدلات فى عالم مشوش كان ضدها وليس معها، كانت ديانا فى حاجة ماسة إلى مثل هذا العرى المعنوى، الذى جعلها فى استعداد تام أن تذهب إلى البلكون أو إلى النوافذ والأبواب وتقف عارية، لتقول لكل الذين يشاهدوها أنها تملك جسد إمرأة يجب احترام الأنوثة فيه، إنه ليس جسد تشارلز، وليس جسد مومياوات اليزابيث أو آن أو فيكتوريا، أنه جسدها هى، بكل خواصيه، وكل بقاع جدبه، بل عيوبه، لكنه الآن راية خفاقة، فوق سريرها، أو فوق سجادة فى صالون، أو حتى على مرأى من عيون الخيل فى الأسطبلات الملكية، فوق العشب الجاف، أو ممسكة باللجام، أو ممتطية جوادا جميلا أمام أو خلف جيمس هوايت، متحدية كله العيون التى كانت مجندة لترصد خطاها وكتابة التقارير عنها، لأنها كانت تهدف إلى الاعلان، لأنها لم تعد خائفة على شئ، لأن ليس هناك ما تخاف عليه، قد دفعها تشارلز وأمه وأهله أن لا تخاف، دفعوها إلى أقصى درجات السقوط من حالق وهم يقولون لها حذار من السقوط، حذار من الخطأ، وأغلبهم من الساقطات والساقطين، أغلبهم حرموا عليها ما أباحوه لأنفسهم سواء فى الظلمة أو فى النور.

واختارت ديانا النور فى علاقتها الجنسية بجيمس هوايت وكابتن فريق الرجبى البريطانى ويلى كارلدج، لأنها أصبحت الآن الأقوى، الأقوى سلوكا ظاهرا، حين طرحت سقوطها الجسدى فى الضوء أمام أصحاب الأقلام وأمام أصحاب الكاميرات، إن النور غير الظلمة، إن النور وضوح. والوضوح قوة والظلمة ضعف. وبهذا استطاعت

ديانا أن تسترد عافية المواجهة، وأن ترفع الستار الحاجب عن كل هؤلاء الذين يقيمون حتى الموت فى مقابر وردهات قصر باكنجهام.

استطاعت ديانا أن تهز وتزلزل الثابت منذ قرون فى شعب بريطانيا، حين قالت له أستيقظ، إن التاريخ له كرامته، وكنت أبحث فى هذا التاريخ عن كرامتى، وقد أضاع هذا التاريخ كرامتى، إنهم يفعلون أكثر مما فعلت، ويرتكبون من المعاصى أضعاف ما فعلت، ويقيمون الحواجز لكى لا يشاهد الشعب البريطانى ماذا فعلوا بى، وماذا فعلوا بتاريخ بريطانيا وهو يلطخوه بالسواد.

إعـلان متحـد

استطاعت ديانا أن تواجه كاميرات التلفزيون وتجيب على جميع الأسئلة التى وجهت إليها، بقوة، وصدق، مواجهة صريحة واصرار، منذ أن نزعت ثيابها ونامت لويلى كارلنج وجيمس هوايت، لأن مخلوقات القصور الملكية قد ناموا أكثر منها تحت صدور الأقزام، وفى الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٩٥ أجابت على أسئلة كثيرة أعدها التلفزيون البريطانى:

سـؤال: هل تخطت علاقتك بالميجور جيمس هويت الصداقة الحميمة؟

إجـابة : نعم، حدث ذلك، نعم.

سـؤال : هل كنت خائنة؟

إجـابة : نعم، لقد عشقته، نعم كنت أحبه

أنا زوجـة خـائنة، ولكنى فى نفس الوقت أشـعر بحـجم هائل من الإحـبـاط والمرارة، أنا كنت ثمرة لزواج فاشل، إنتهى بطلاق أمى من أبى، لقد حاولت أن أتجنب ما حدث لوالدى فى زواجى من تشارلز، لقد أحببته بقوة وعشقته بصدق، وفعلت كل شئ من أجله، وضحيت بالكثير من أجله، لكنه بحث عن غيرى، خاننى مع إمرأة أخرى. لقد كنت مريضة، مريضة بالإكتئاب، بسبب تجاهل تشارلز لمشاعرى كزوجة، كنت أعرف علاقته بعشيقته كاميلا باركر، كنت أعرف مواعيده معها، كنت أعرف أنه فضلها على، فلماذا تزوجنى، كنت أتحمل مشقة أن زوجى ليس لى، لقد دفعنى إلى الجنون، دفعنى إلى

الإنتحار أكثر من مرة، ماذا كان يجب على أن أعمله، أنا إمرأة، أنثى، لها حقها فى الرجل، وقد أخذت كاميلا ملى هذا الرجل، وشكلته حسب ما أرادت وأخذت منه ما كان حقا لى، لقد شعرت بقدر كبير من الحماية مع جيمس، لأنه كان صديقاً جيداً للغاية، ولم يكن بوسعى أن أتحمل أن تنقلب حياته رأساً على عقب، لأنه كان على صلة بى، لقد جرت مكالمات تلفونية بيننا، لقد سجلوها وفسروها تفسيراً مشوشاً. أنا لا أريد الطلاق ولكن من الواضح إننا فى حاجة للوضوح، فى موقف خضع لنقاش طويل على مدى سنوات، إننى أخيراً فى انتظار قرار زوجى فيما حدث بيننا وفيما سيحدث فى الأيام المقبلة

* * *

وكان الطـــلاق

من جانب آخر حاول جيمس هوايت أن يوقف هذا الفيضان الجنسى بينه وبين ديانا، التى أرادت أن تحتوى كل رجل ينظر إليها، كأنه يضاجعها، أرادت أن تستمر المعاناة كأنها لا تعرف نهاية، عبر ونتيجة لسنوات الحرمان والظمأ، ويبدو أن جيمس لم يستطع أن يستمر فى ركوب «الفرسة»، أو كان هناك ضغطاً عليه لكى ينهى مثل هذه العلاقة، أو كأن هناك قوة خفية أقوى منه ومن رجولته ومن عشقه لديانا، دفعته أن يضع حداً كأنه الموت مع ديانا، فتوقف الفيضان، وظهرت الحدود، وانغزت فى أرض العشق أعنف الحراب طعنة، عندما فوجئت بأن جيمس هوايت الذى كان حبيبها، والذى كان عشيقها، والذى كانت تروى له كل أسرارها، أدق أسرارها، كلماتها، آهاتها، يكتب عنها فوق صفحات الصحف، يتحدث عنها أمام جميع أنواع وسائل الإعلام، وهو يحكى قصتها وروايتها معه، ماذا كانت تقول له، ماذا كانت معه مع عريها، كيف كان يثيرها، وكيف كانت تثيره، وكيف كانت ترقص له عارية، أمام عريه وجسارة التعبير الراقص بهذا العرى، كيف كان يجعلها تتأوه وتشكى وترجو وتتألم ثم تبتسم وتضحك مرحة نشوى دافئة فى جحيم الرجل، عند هذا الحد فى يوم السابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٩٦ صدر الحكم بطلاقها من ولى عهد بريطانيا، إبن اليزابيث ملكة الإنجليز.

* * *

ديانا
والسيارات المستعملة
جيمس جيلبى

– حسنا يا حبيبتى، ما هى أخبارك اليوم؟

– كنت فى أسوأ حالاتى اليوم.

– كيف حبيبتى؟!

– كدت أبكى.

– ماذا؟!

– حين أنتابنى شعور بالحزن والملل والفراغ، فكرت فى كل ما قمت به من أجل هذه الأسرة الساقطة.

– أيتها الجميلة الناعمة، إنى أحبك، أحبك.

– وأنت ألطف وأرق إنسان فى كل هذا الكون.

– أتخيلك الآن عارية بجوارى.

obeikandl.com

– لا أريد أن أكون حاملاً.

– حبيبتى، إن هذا لن يحدث.

– كيف؟ حبيبى وأنت معى.

– لن تصبحى حاملاً.

– شاهدت رواية سينمائية بطلتها تحكى أنها أنجبت طفلاً تعتقد أن أباه ليس زوجها.

– إذن يكون من حبيبتى؟

– حبيبى، إنه شخص آخر.

– حبيبتى الناعمة اللذيذة قبليني، أرغب فيك دائماً ألا تحبين ذلك؟

– أحب هذا حبيبى؟.

– أشرحى لى حبيبتى؟

– إننى لم أحصل عليه من قبل حبيبى.

– إننى اساعدك وأشاركك فيه حبيبتى.

– نعم إنك تساعدنى حقاً، ولكنك لا تدرك كم هى فاتنة هذه المساعدة حبيبى، أنا أدركها أكثر منك.

- أعرف هذا حبيبتى، ولكنى أشعر الآن فقط إنى قريب منك حتى تحتوينى وأحتويك، أحميك وأمتعك حبيبتى.

– نعم، إحمينى وأمتعنى حبيبى.

– ماذا تفعلين الآن حبيبتى؟

– أتخيلك وأمارس العادة السرية معك حبيبى.

كان هذا بعضاً من جمل الحوار الذى أمتد عبر التليفون بين الأميرة ديانا وعشيقها جيمس جيلبى، الذى كان يعد من أكبر تجار السيارات المستعملة فى قلب لندن، كان كل منهما يحاول أن يخفى هذه العلاقة الغرامية والتى تحولت إلى علاقة جنسية بين الأميرة ديانا وجيمس جيلبى، خاصة عندما يستقل الأمير تشارلز بحياته وبعشيقته

كاميلا، وترك ديانا فريسة سهلة لأى رجل يتقن معاملة مثل هذا النوع من النساء، التى لا تستطيع أن تفرق بين عاطفتها الجياشة الرومانسية، مع عاطفتها واندفاعاتها نحو الإرتواء الجنسى باستسلامها لرجل، يستطيع أن يكون قائداً محنكاً على أساليب الامتاع لأنثى مثل ديانا، تتمتع بالجمال الرومانسى وجحيم الهياج الجنسى، وقد استطاع جيمس أن يوطد علاقته بديانا منذ وقت طويل، قبل زواجها من تشارلز وبعد زواجها أيضاً، حين وجدت فيه ما يلبى رغباتها وفق ما تريد، وقد تأسف تشارلز ذاته على مثل هذه العلاقة، لا لأنها علاقة تسقط احترام ديانا له، بل كان أسفه أن أمثال جيلبى لا يليق بها، لأنه فى منزلة أدنى من مكانتها، وكأنه يبيح معاشرة زوجته مع غيره، إذا ما توافرت المساواة الطبقية بين الأثنين.

صراع الجسد

شاهد كازينو ومطعم وملهى «سان لورانزو» فى ناحية نايتسبرج ليالى العشق والفجور بين كل من أميرة ويلز وصاحب السيارات المستعملة، خاصة وأن التى رعت واحتضنت وحمت وشجعت هذه المتع الجنسية صاحبة الملهى «مارا» التى كانت من أهم الشخصيات النسائية فى محيط الدعارة لكثير من الدبلوماسيين البريطانيين وغيرهم من الدول الأخرى، حين كانت تقوم بتسهيل الكثير من اللقاءات الجنسية مع مشاهير النجوم على المستوى السياسى أو الفنى، وقد خصصت «مارا» هذه خلوة خاصة فى مطعمها، مجهزة بكل ما يلزم من أدوات رفاهية حسية عندما كانت ديانا تذهب إلى نايتسبرج فى سيارتها الحمراء والتى كانت تقوم بتغييرها بقصد التمويه على المصورين ورجال الصحافة، وتبدو ديانا وهى على موعد مع جيمس جيلبى فى قمة السعادة، وهو يطارحها الهوى تحت ظل دعارة «مارا» وفق آخر أساليب الابتكار الجسدى والمواصفات الطبية التى تجعل منه ومنها ذئباً ولبؤة فى تماسك دائم فى سان لورانزو.

لقد أنفقت الأميرة ديانا الكثير من المال فى سبيل توفير ناصية الإشباع الجنسى الذى بدأ جيمس جيلبى يعجز عنه فى أوقات متفرقة عبر مشاغله فى سوق تجارة السيارات وتجارات أخرى، أصبح وصيفاً أو سمساراً فيها، تجلب إليه الكثير من الصفقات الرابحة، عبر هذا التمايز الذى تمتع به بفضل علاقته بالأميرة ديانا، وتذكر جراهام فى كتابها «كاميلا عاشقة الأمير» والذى لخصه الكاتب مجدى كامل وعرضه، تقول

(الحقيقة إن إذاعة الشريط الفاضح لم يضر فقط بطرفيه، إنما ألحق الأذى بأطراف أخرى، فقد ذكرت ديانا لجيلبى كيف كانت على علاقة صداقة مع جيمس هوايت وإنها قد أنفقت ثروة طائلة فى شراء ملابس له وهدايا، كما حمل الشريط طعنة لليدى اليتا سافيل التى أمتدت علاقتها بجيلبى لفترة طويلة دون أن تعرف أنه يخونها مع ديانا وهى التى كانت تستعد بالزواج منه، قبل يوم واحد من إذاعة هذا الشريط، وقد دخلت ليدى سافيل بعد ذلك مصحة نفسية لشعورها بإحباط شديد لنشر تسجيلات تثبت إن حبها كان وهماً وسراباً).

عبر هذه العلاقة بين الأميرة ديانا وصاحب السيارات المستعملة، والتى لم تعد سراً على الرأى العام البريطانى بعد ذلك، كانت ديانا كأنها كانت تصرخ بأعلى صوت فى كل وجوه القصر الملكى، فى كل سكانه، فى كل تاريخ أركانه، فى الخدم، فى الخيول، فى موظفيه المسئولين مسئولية مباشرة عن سمعة قصر بكنجهام وغيره، تصرخ بالأحاسيس والكلمات والأخبار الصحفية والحوارات التلفزيونية، تصرخ بالجسد الذى أسلمته بكل إرادة فيها لجيمس هوايت خبير خيول القصر ولجيمس جيلبى تاجر وبائع السيارات والسلاح، وإلى غيرهما ممن أقامت معهم علاقة جسدية، صرخت أنها لا تريد الأمير ولى العهد، إنها تكرهه وبقدر ما تكرهه تحتقره على الأقل لأنه كان يعلم بهذه العلاقات مع غيره، من شباب إنجليز وشباب من جنسيات أخرى، ولم يحارب شرفه المسلوب منه، عبر جسد ديانا الذى تهبه لمن ترغب وتريد، أنها لا تحب اليزابيث ولا الأمير فيليب ولا الأميرة آن ولا الملكة الأم، أنها تقذف ببصقة كبيرة فى كل الوجوه التى ساعدت على ما هى فيه، وإلى ما وصلت إليه فى نظر الشعب الإنجليزى الذى كان يحبها ويعشق رؤيتها قبل الوصول إلى الجحيم، إن تشارلز مسئول، مثله مثل أمه اليزابيث، مثله مثل والده فيليب، مثله مثل كاميلا وكارولين وسارة وكل وصيفات القصر، كلهم سحبوا السجادة من تحت قدميها، وتركوها تهوى وتهوى حتى وصلت بالجسد إلى صدر جيمس جيلبى وغيره من الرجال، مثل الصحفى ريتشارد كاى، الذى كان يعمل فى جريدة «الديلى ميل» البريطانية.

ديانا
وتجربة إسلامية باكستانية

هل فكرت ديانا قبل أو بعد طلاقها من زوجها الأمير تشارلز عن معنى أن تسلم جسدها لغير زوجها لرجل أو لأكثر، لا حاجة فيها إلى مال هى فى أشد الحاجة إليه ترتزق به، ولا فى حاجة إلى إنسان أيا كان نفوذه وقوته تستعين به، عبر صراعها الضارى أمام قوة القصر الملكى البريطانى وإنما كانت تنشد عبر هذا الإستسلام الشهوى إلى إمتاع الجسد بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة، وأيا كان نوع هذا الإستسلام ألم تفكر فى معنى «الزنا»؟ ألم ير فى خاطرها ولو للحظة واحدة هذا المعنى من السقوط الجسدى؟ ألم تفكر إن هناك عقابا فى إنتظارها على المستوى الحياتى أو على مستوى ما بعد الحياة؟! وعلى مستوى الدين المسيحى سواء كان على المستوى البروتستانتى أو الكاثوليكى أو الأورسوزكسى طبقاً لتعاليم الإنجيل فإنه يعتبر الزنا جريمة فى حق الفرد وحق المجتمع.

رؤية حياة أفضل

وعندما دخلت ديانا الكاتيدرائية فى بداية حفل عرسها أقسمت بالولاء لزوجها، والإخلاص له فى حياته وما بعد مماته، كل هذا غاب عن ضمير ديانا، عبر مئات من المشاكل الحياتية التى قتلت فى داخل كل من ديانا وتشارلز أجمل المبادئ الإنسانية فى حياة الجسد أو حياة الروح، وعبر الأثنين معاً، حتى تقابلت ديانا مع «جميمة» صديقتها القديمة، وهى من عائلة من أكبر العائلات الإرستقراطية الثرية فى بريطانيا، صرخت ديانا فى دهشة وهى تشاهدها مرتدية ساريا إسلامياً يغطى تماماً جسدها وجزءاً كبيراً من رأسها وكل السعادة تطل من عينيها، وسألتها ديانا عن سر هذا التحول إلى الأفضل:

- أننى مسلمة.

- وكيف أسلمت؟

- أحببت عمران خان بطل باكستان الرياضى.

- أمن أجل حبك له أسلمت؟!

- لا، من أجل أن أنقذ ذاتى وأربى جيلاً من الأبناء الصالحين لبلدهم ولكل شعوب الأرض.

- ما الإسلام يا جميمة؟

- إقرئى القرآن.

- لا أعرف العربية.

- إقرئى الترجمة.

- على سبيل المثال ماذا يقول هذا القرآن؟

- بسم الله الرحمن الرحيم، **إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.** «صدق الله العظيم».

– لقد أخطأت، إن ذنوبى كثيرة، أنا إمرأة تحالف معها الشيطان لكى أهدم ما شيده الغير، هل الإسلام يقبلنى؟

– إن الله غفور رحيم، تواب لعباده، وأنت من عبيده.

وتكرر لقاء ديانا بجميمة، وإستعادت كثيراً مما حدثتها عنه حول «الإسلام» وحول مبادئه وقيمه التى قام عليها، كانت ديانا فى مثل هذه اللحظات فى حاجة ماسة لمن يأخذ بيدها ويقودها إلى طريق الإسلام إلى أن تسمع قوله تعالى فى سورة الإعراف فى الآية ١٧٢ «**وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علي انفسهم، الست بربكم، قالوا بلي شهدنا**». وكانت ديانا فى أمس الحاجة إلى قول سيدنا محمد (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل).

إن ديانا لم تكن ملحدة كافرة، لقد كانت عاصية لأوامر الله ونواهيه، وكانت فى حاجة ماسة إلى أن تعرف وتوجه إلى الطريق الصحيح المستقيم، نحو نوع من حياة أخرى، تكفل وتوفر لها مبدأ «إن بعد العسر يسراً» عندما قال المصطفى: (يقول الله تعالى يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فسلونى الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلونى أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من عافيت ، فمن علم منكم أنى ذو قدرة على المغفرة فاستغفرونى غفرت له ولا أبالى، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادى مازاد ذلك فى ملكى جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادى ما نقص ذلك من ملكى جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكى إلا كما أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ذلك بأنى جواد ماجد أفعل ما أريد عطائى كلام وعذابى كلام، إنما أمرى لشيئ إذا أردته أن أقول له كن فيكون).

كانت ديانا فى محنة حقيقية، عجز مجتمعها من إعطائها الحماية التى توافرت فى الإسلام عن أى دين آخر، كانت تمد ذراعيها فلا تجد إلا الفزع والخوف والكآبة والحزن، وما أن سمعت جميما حتى أيقنت أن هناك سبيلاً للنجاة، فى داخلها كانت تريد أن تصل إلى شواطئ أكثر رحابة وأكثر أمناً، لكنها أيضاً فى داخلها كانت تبحث عن السفينة عن الربان، عن الفارس الحقيقى، الذى لا يعرفه والذى لم يحاول أن يعرفه كل الغرب الأوربى، كانت فى داخلها تنشد المغفرة، ليس من الملكة اليزابيث، ليس من أم الملكة اليزابيث، ليس من زوجها فيليب، وليس من تشارلز بين الأثنين، كانت تريد أحداً من هذه الملايين من البشر يردد عليها جزءاً من سورة البقرة (**تلك حدود الله فلا تقربوها**) ومن يسمعها معنى جزءاً من سورة طه (**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمي**) وجزءاً من سورة فصلت فى الآية الثلاثين (**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون**)، حين يقول الأستاذ محمد رشدى إسماعيل فى كتابه « الجنايات فى الشريعة الإسلامية »، (**وإقامة الحدود صيانة للمجتمع من الشذوذ والإنحرافات إلا إكراها على الفضيلة وحسن الخلق، فالمجتمع الإسلامى يقوم على عقيدة ينبع منها الخلق، ويصونه نظام يعمل على تربية المجتمع، وتطهره وصيانته، لذلك حذرت الشريعة الإسلامية من إرتكاب المحرمات على وجه العموم، منذرة بغضب الله ونقمته على مقترفيها أو حرمانهم من رحمته ونعيمه، متوعدة بعقوبة فى الآخرة على صور كثيرة فى نفوس المؤمنين شدة الخوف والرهبة، وعدم الإقدام على شئ منها، وفى الوقت نفسه تدفع عن المجتمع كثيراً من شرورها ومفاسدها، ولما كان من يفعل هذه المحرمات متصلاً بالحياة العامة، وله آثاره السيئة فى حقوق الأفراد والجماعات، وكان من المجتمع من تضعف عقيدته، وتعمى بصيرته عن الترهيب الأخروى، أو يغفل بدواعى التنافس فى الحياة عن استحضاره، والتأثر به فتطغى عليه لذة العاجلة التى يتخيلها فى جريمته، ويقضى بها حاجة شهوته، فتحول بينه وبين التفكير فى سوء العاقبة، لهذا لم يقف الإسلام عند حد العقوبة الآخروية، بل كان من مقتضيات الحكمة فى السلام، والأمن، اتخاذ علاج ناجح

لكبح هذه النفوس وحدها من نوازع الشر، خيانة للمجتمع من شيوع الفساد).

يقول الله تعالى فى سورة المائدة، فى الآية الثالثة والثلاثين (إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم) صدق الله العظيم. ويقول الله عز من قائل فى سورة الطلاق (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل علي الله فهو حسبه، إن الله بالغ امره، قد جعل الله لكل شيئ قدرا).

معرفة طريق النجاة

كان الطريق طويلاً وقصيراً فى الوقت ذاته أمام ديانا، التى وصلت، عبر حضارة المادة، إلى لا شيئ، إلى الخواء الجسدى والخواء الروحى، القصر وقد فقد، الأولاد وقد تباعدوا، الزوج وهو مثلها فى السقوط فقدته، التاج الملكى قد قذفت به تحت أقدامها، أصحاب السلطان وصحبة السلطة أعطوا ظهورهم لها، الاستقرار منذ البداية لم يتوفر لها، الأمن والحب والأمان ثالوث رعبها الدائم من الغد القادم، وأى غد قادم ولا سلام مع الناس، ولا سلام أيضاً مع الذات. وعندما حدثتها جميعا عن الإسلام، عن سلام الله وسلام الناس، أشرق أملها طربا، إن الله قادر على أن يعيدك إلى الطهارة يا ديانا، قول سبحانه وتعالى فى سورة النور، فى الآية الثلاثين (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك ازكي لهم، إن الله خبير بما يصنعون. يقول سبحانه في الإسراء (ولا تقربوا الزنا فإنه كان فاحشة وساء سبيلا) ويقول عز من قائل فى سورة الفرقان (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق اثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيها مهانا) ويقول سبحانه لنساء الأرض مثل ديانا وغيرها من بنات حضارة الشهوة (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) سورة النور فى الآية الواحدة والثلاثين. كان على تشارلز ولى عهد بريطانيا أن يقرأ

قوله تعالى فى سورة النور فى الآية الثالثة (**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، وحرم ذلك على المؤمنين**) فأين هو تشارلز هذا فى ظل الشريعة والسلوك الإسلامى، وأين هى ديانا هذه فى ظل البحث الطويل عن التوبة من بين كلمات وأحاديث جميما وزوجها الباكستانى عمران خان؟.

* * *

فى ظل هذا حاولت ديانا أن تقيم مثل هذا العالم، أن تخوض تجربة الإسلام، فى ظل فارس من فرسانه، مع الدكتور حسنات خان، أحد الأطباء الكبار الذين كانوا يعملون فى دائرة الشهرة مع ذائع الصيت الدكتور مجدى يعقوب، ورأت ديانا ربما أن رحلة العودة إلى طريق الدين قد تبدأ بحسنات خان، الذى استجاب لها فى بداية المحاولة، عبر علاقة روحية، تملك من أسباب الرأفة والرحمة والمشاركة الوجدانية فى مأساة حياتها أكثر من أسباب الإرتباط بها شرعيا حسب التعاليم الإسلامية، لكن هذه العلاقة البريئة بين الأثنين كانت نهبا للإنقطاع والتواصل، والتأرجح بين الإصرار والخوف من المجهول القادم، خاصة أمام إصرار القصر الملكى، رغم أنها طلقت من ولى عهد التاج البريطانى، الذى كان ما يزال مصراً على إحاطة حياة ديانا بسياج من لزوميات الصمت وعدم الإسهام فى تعرية القصر الملكى أمام جماهير الشعب البريطانى، أكثر مما حدث وعرت سيئات وتشويهات كثيرة لحقت بنظم وأسرار كثيرة فيه، خاصة أن ديانا ما تزال هى أم ولى عهد بريطانيا عندما ينصب تشارلز ملكاً على بريطانيا، لهذه الأسباب، وأسباب أخرى لا نعرفها، ابتعد الدكتور حسنات خان عن الإرتباط بديانا عن طريق الزواج. وبدأ بصيص الأمل عن ديانا يتلاشى رويدا رويدا، فى بداية إقامة حياة تخلو من كل منغصات ماض كريه، ما تزال تشم روائحه القذرة حتى الآن؛ وهى تريد عن إيمان، عبر هذه البداية أن تقيم هذه الحياة، أو تبقى فيها من عمر على أسس إسلامية تكفل لها الحياة الكريمة عبر فارس من فرسان هذا الدين.

* * *